

براديغم الفعل في علم الاجتماع: نحو محاولة تأصيلية

أ. مروان لمدير - جامعة شعيب الدكالي، الجديدة - المغرب

ملخص: ترمي هاته الدراسة تسليط الضوء على واحد من أهم البراديغمات الكبرى الأكثر تداولاً في السوسيولوجيا وهو الفعل. سوسيولوجية الفعل هي بمثابة مجال واسع يغطي كلا من الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتنظيمات وما يجعل هذا البراديغم مركزياً بالنسبة إلى البحث السوسيولوجي هو تميزه بالوضوح اليببستيمولوجي من جهة، وفعاليته التطبيقية من جهة أخرى. ونعني بالوضوح اليببستيمولوجي أنها تعتمد على مجموعة من المبادئ الواضحة والكامنة في طبيعة الأشياء. ونقصد بالفعالية التطبيقية قدرتها على تفسير الظواهر الاجتماعية بغض النظر عن طبيعتها، وسوسيولوجية الفعل أثبتت بجلاء قدرتها على ذلك.

ونظراً لقلة الدراسات التأصيلية لبراديغم الفعل وأهميته في التحليل السوسيولوجي لمختلف للظواهر الاجتماعية، فقد جاءت هاته المحاولة متسائلة بسؤال انطلاق واضح: ماهي المسلمات الرئيسية التي تم اعتمادها لبناء مبادئ براديغم الفعل سوسيولوجيا؟ بغرض الإجابة، تم اتباع منهجية تعتمد محاولة التأصيل للإرهاصات الفكرية المختلفة التي غدت بناء الفردانية باعتبارها مسلمة أساس لبراديغم سوسيولوجية الفعل. حيث يتم التركيز على الخلفيات الفلسفية والاقتصادية، ثم السوسيولوجية، ثم تحديد المسلمات التي تعرف الفعل ومبادئ البراديغم نفسه، وأخيراً الوقوف عند بعض المساعي التي حاولت مد الجسور بين الفردانية والكلانية باعتبارها تصورات متنافسة. **كلمات مفتاحية:** سوسيولوجية الفعل، اليببستيمولوجيا، المنهجية الفردانية، العقلانية.

Rethinking theoretical foundations of action paradigm in sociology

Lamdabar Marouan, Department of sociology and psychology
Chouaib Doukkali University, Morocco

Abstract: This paper attempts to highlight one of the most significant paradigm in sociology: Action paradigm. This paradigm can be considered as a broad field covering both sociology, economics, politics and organizations.

The raisons that make this paradigm central in sociology are its epistemological clarity and applied effectiveness. According to this, I focus on a clear starting question: what are the major postulates which have been adopted to construct the principles of Action paradigm at the sociological level.

To answer that question, I will put to the discussion a set of elements. First, the different intellectual backgrounds supply the theory of social action. Then, defining the postulates and principles of the same paradigm. Finally, explain the attempts to bridge the opposition between individualist and holistic approaches.

Keywords: Sociology of action, Epistemology, Methodological Individualism, Rationality.

مقدمة

تشمل سوسيولوجية الفعل أهم ما يتضمنه التحليل الألماني الكلاسيكي عند كل كن ماكس فيبر Max Weber وجورج زيمل Georg Simmel، والتيارات السوسيولوجية الأمريكية مع كل من تالكوت بارسنز Talcott Parsons وروبير ميرتون Robert Merton وغيرهم. يمكن اعتبار سوسيولوجية الفعل مثل مجال واسع يغطي كلا من الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتنظيمات. وتشارك مدرسة الاقتصاد الكلاسيكي مع مدرسة الاقتصاد النيوكلاسيكي في مبدأ مفاده أن الظاهرة الاقتصادية لا يمكن تحليلها إلا في ضوء الأفعال الفردية الأولية التي تشكلها؛ وتمتد الجذور الفلسفية للنزعة الفردانية والمنهجية الفردية إلى حد ما إلى كل من الفلسفة

الأسكتلندية وفلسفة الأنوار. وقد تمت أجراً هذه البراديغمات -التي تستند إلى مبدأ الفعل باعتباره الحجر الأساس- بأشكال مختلفة حسب كل مجال معرفي خاص. هذه الفروع بمثابة براديغمات* متفردة، يحقق كل واحد منها (أي البراديغمات) بطريقته الخاصة، تبعاً لأهدافه الخاصة ومبادئه، براديغمات أكثر عمومية وهو الفعل. إنه ذو أهمية معتبرة بالنسبة للعلوم الاجتماعية وسؤال ابستمولوجي فارق.

يعد ماكس فيبر أول من أقام البرهنة على كونية براديغم الفعل وذلك على المستوى السوسيولوجي، سيما في كتابه "الاقتصاد والمجتمع، مقالات في نظرية العلم"، وعلى المستوى التطبيقي في مجموع تحليلاته الميدانية (Boudon, 1984, p.39-40) "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية".

تعتبر سوسيولوجية الفعل مهمة جداً، هذه المدرسة لا تغدو أن تكون واحدة من بين أخريات، لكنها جديرة بالاهتمام لوضوحها الإبيستمولوجي وفعاليتها التطبيقية. نعني بالوضوح الإبيستمولوجي أنها تعتمد على مجموعة من المبادئ الواضحة والكامنة في طبيعة الأشياء. ونقصد بالفعالية التطبيقية قدرتها على تفسير الظواهر الاجتماعية بغض النظر عن طبيعتها، وسوسيولوجية الفعل أثبتت بجلاء قدرتها على ذلك (Boudon, 1992, p.21).

نحاول في هذه الدراسة إثارة ثلاثة نقاط رئيسية:

- إبراز الخلفيات التي غدت بناء الفردانية كمسلمة أساس لبراديغم سوسيولوجية الفعل، مع التركيز على الخلفيات الفلسفية والاقتصادية ثم السوسيولوجية.
- المسلمات التي تُعرف سوسيولوجية الفعل ومبادئها.
- مساعي مد الجسور بين الفردانية والكلانية كتصورات متنافسة.

*- غالباً ما يطلق البراديغم على المبادئ الأساس التي تعتمدها مجموعة علمية (scientific community)، وهي مجموعة قواعد توجه الباحث أثناء دراسته للظواهر الاجتماعية.

أولاً: المبادئ النظرية العامة للفردانية:

1. النزعة الفلسفية للفردانية

تذهب مجموعة من الباحثين إلى أن براديجم الفعل يجد أصوله في مجموعة من التصورات الفكرية خاصة تلك المتعلقة بالنظرية الفردانية. وحسب السوسيولوجي لارس أديهن Lars Udehn هناك نسختين رئيسيتين للنظرية الفردانية للمجتمع التي سبقت المنهجية الفردانية وهما نظرية العقد الاجتماعي ونظرية النظام العفوي كما تبلورت في فكرة آدام سميث Adam Smith حول السوق كيد خفية. وضعت هذه الفكرة أساس علم الاقتصاد وكذلك أيضاً تم افتراض أن الاقتصاد الكلاسيكي لم يكن أول علم اجتماعي لكنه أول مثال عن المنهجية الفردانية (Udehn, 2002, p.7).

أ-العقد الاجتماعي: مصدر للفردانية؟

تمتد الجذور الفلسفية للنظرية الفردانية إلى الفلسفة اليونانية، حيث نجد صداها في الفلسفة السفسطائية والابيقورية، فالمدرسة الابيقورية أضفت على تصورها الفلسفي للفردانية بعداً ميتافيزيقياً ذرياً. حيث اقترح التصور الأول نظرية العقد الاجتماعي باعتبار جميع المؤسسات الاجتماعية اتفاقيات من صنع الإنسان، في المقابل، تبنى المنظور الثاني نظرية العقد الاجتماعي وأضافوا إليها الميتافيزيقا الذرية وعلم النفس السعادة.

وتعد مقولة السفسطائيين -نظير جورجياس Gorgias وبروتاغوراس Protagoras - أن "الإنسان مقياس الأشياء ما وجد وما لم يوجد"، هذه العبارة تعيد الاعتبار إلى ذات الإنسان كذات فاعلة ومقيّمة للأشياء الموجودة على اختلافها سواء تعلق الأمر بالمستوى المعرفي أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو القيمي الأخلاقي.

مع العصور القديمة، اختفت النظرية الفردانية للمجتمع واستبدلت بتصوير أكثر شمولية وجماعية للمجتمع. لكن، مع عصر النهضة، عادت إلى الظهور بل إنها بلغت ذروتها مع عصر التنوير؛ حيث نجد أهم ممثليها: توماس هوبز Thomas Hobbes (1651, Hobbes) وجون لوك John Locke (1690, Locke) اللذين تحدثا عنها في مؤلفاتهما الفلسفية. لكن يبقى

هوبز أكثر المفكرين المعبرين عن النظرية الفردانية في صيغتها الفلسفية، في حين يظل لوك ممثلاً للفردانية السياسية*.

فيما يتعلق بنقطة انطلاق معظم نظريات العقد الاجتماعي، لا تعد نظرية هوبز استثناء، بل تقليداً فلسفياً يستند إلى معظم فلاسفة الأنوار؛ وتعكس فلسفة العقد الاجتماعي عنده ضرورة الانتقال من الحالة الطبيعية التي تتميز بالصراع الأبدي بين الإنسان وأخيه -"الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"- إلى الحالة الثقافية التي تستند إلى قيم التعايش والسلم في إطار نظام تعاقد يضمن الحقوق المدنية للمجتمع. وبذلك يعد هوبز أحد الفلاسفة الممهدين لنظريات المجتمع المدني الذي تبرز فيه فردية المواطن وفرادته السياسية والحقيقية.

ويعزو هوبز حالة الصراع الدائم بين الأفراد إلى غياب قانون ناظم للمجتمع والسلطة. سبب هذه الحالة المحزنة هو عدم وجود قانون ولا قوة مشتركة للخوف. لكن، لماذا هناك الحاجة لقوة الإكراه؟ هل يلتزم الناس فقط بالقانون خوفاً من العقاب؟ تبعا لهوبز الجواب نعم! ويرى أن الطبيعة البشرية تجعل الأفراد يسعون فقط لتحقيق مكاسبهم الخاصة، وقبل كل شيء، البحث عن المجد دون اعتبار للآخرين؛ وفي غياب قانون يمنعهم، سيعزو بعضهم بعضاً من أجل ما يريد أو لمنع الآخرين من أخذ ما يريدونه.

لحسن الحظ، إن البشر ليسوا فقط مهتمين بأنفسهم، لكنهم أيضاً عقلانيون وبذلك يتم خلاصهم، ليست الحالة الطبيعية بالنسبة لهوبز مكاناً آمناً وطبيعياً مادام البشر -كائنات عقلانية- يدركون أنهم سيكونون جميعاً أفضل في حالة المجتمع حيث يوجد القانون والعدالة

*- وفق الاقتصادي جوزيف شومبتر، من الضروري التمييز بشكل واضح بين الفردانية السياسية والمنهجية الفردانية، وفي هذا الصدد يقول: "ليس لكلا المفهومين قاسم مشترك، بحيث تشير الفردانية السياسية إلى بيانات عامة نظير حرية الناس في تنمية أنفسهم والمشاركة في الرفاه واتباع القواعد العملية، بينما ينطلق الباحث في المنهجية الفردانية من الفرد بغية وصف علاقات اقتصادية معينة".

والسلام. ومن تم يدخلون في عقد اجتماعي يتخلون بموجبه عن حقوقهم الطبيعية، ويفوضون صاحب السيادة المطلقة إقامة العدل (التنين حسب هوبز)*.

نظرا لكون البشر، وفق هوبز، في استطاعتهم تشييد عقد اجتماعي، من الممكن رؤية نظرية حول العقد الاجتماعي كجزء من تحليل الاختيار العقلاني. (Hechter, 1989, pp.60-81) اقترح ستيفن لوكاس Steven Lukes أن هوبز كان أيضا هو أول من صاغ مبدأ المنهجية الفردانية، لكن هذا الأمر يتطلب المزيد من التمهيد. أقرب ما تم التحصيل عليه من صياغة المنهجية الفردانية في كتابات هوبز، دعوته لطريقة الحل والتكوين التي تشبه المنهجية التركيبية التي اقترحها فريدريك فون هايك Friedrich Von Hayek.

وتبرز الجذور الفلسفية الفردانية الاجتماعية والسياسية عند هوبز في تأصيله لفكرة المجتمع المدني وضرورة قيام سلطة شكلية لضمان استقراره. ومن ثم تتجلى فكرة المواطنة والمواطن في أبعادها الحقيقية التي تؤسس للمنهجية الفردانية في مجال العلوم السياسية والحقوقية لاحقا. مثل هوبز، انطلق جون لوك من حالة الطبيعة التي تم تعريفها سلبا على أنها غياب الحكم. غير أنه لا يتقاسم مع هوبز وجهة نظره عن الحالة الطبيعية كحالة حرب. عندما ينتقل لوك إلى حالة الطبيعة في المجلد الثاني "مقالين في الحكم"، يصورها على أنها حالة من المساواة والعقل. وعليه إن العقل هو قانون الطبيعة الذي يخبر كل رجل الا يؤدي رجلا آخر في حياته وصحته. وفي الكتاب نفسه، يرسم لوك صورة أخرى أقرب إلى التصور الفلسفي الذي نجده عند هوبز. وتتميز هذه الحالة بعدم اليقين حيث يكون الفرد معرضا لغزو باستمرار.

وفي سياق شروط قيام المجتمع، يرى الأفراد مزاياهم ويوافقون على وضع أنفسهم تحت التزام تجاه كل فرد من هذا المجتمع، والخضوع لقرار الأغلبية، ولا يقتصر العقد الاجتماعي عند لوك على العقد الأصلي ولا يحتاج إلى أن يكون صريحا. ويمكن للناس أيضا إبداء مواقفهم الضمنية للحكومة التي تقي بغاياتها الرئيسية، "كالحفاظ على ممتلكاتهم". تعتبر نظرية العقد الاجتماعي،

*- للمزيد من الاطلاع حول هذه المسألة، انظر: Alessandro Pizzorno, On the Individualistic Theory of Social Order, 1991.

بشكل أو بآخر، النظرية الرئيسة لبناء المجتمع الحديث، وتعد الأساس الفلسفي للنظرية الفردانية في المجتمع المدني المعاصر.

ب- النظام العفوي: مصدر آخر للفردانية؟

بعد المفكر لوك، كانت هناك قطيعة مع نظرية العقد الاجتماعي على الأقل كنظرية للمجتمع؛ حيث تطورت النظرية الاجتماعية في اتجاه أقل عقلانية وأقل فردانية. ظهرت في كل من فرنسا واسكتلندا نظرية ثانية مفادها أن المؤسسات الاجتماعية ليست اختراعات واعية، لكنها تطورت تدريجياً بشكل غير مقصود*. تبعاً للفيلسوف الأسكتلندي آدم فيرغسون Adam Ferguson تعد نتيجة غير مباشرة للفعل البشري، أو بعبارة أخرى، ليست نتيجة تصميم (بشري) مقصود لذاته (Hayek, 1948).

في هذا السياق، يعد السوق أهم تطبيق لفكرة أن المؤسسات الاجتماعية من النتائج غير المقصودة للأفعال المتعمدة من قبل لأفراد. في هذه الحالة، حصل تطور خاص فيما يتعلق بفكرة النظام العفوي، وذلك بسبب قوتها -الخارقة- إلى حد ما على تحويل الفعل الفردي القائم على المصلحة الذاتية إلى منفعة جماعية.

يعد الفيلسوف والطبيب الهولندي برنارد ماندوفيل Bernard Mandeville أول من جعل هذه الفكرة معروفة جداً في كتابه "حكاية النحل"* وبعنوان فرعي أكثر دلالة: "الذائل الخاصة والمنافع العامة"، وكانت حجته هي أن العديد من الأفعال الأنانية ومنها الشريرة مثل الجرائم قد تحولت إلى منافع عامة.

تعود شهرة فكرة النظام العفوي، وتحويل المصلحة الذاتية أو الخاصة إلى المنفعة الجماعية إلى نظرية سميت حول السوق، التي تعمل كما لو كانت تحكمها يد خفية. وفي كتابه المتميز

*- في علم المصطلحات، اشتهر حديثاً من قبل فريدريك هايك أن مجمل المؤسسات الاجتماعية "أنظمة عفوية".

*-Bernard Mandeville, (1714/29/32) The Fable of the Bees, or Private Vices, Public Benefits, (Indianapolis: Liberty Fund, 1988).

-Bernard Mandeville, La Fable des abeilles: Suivi de «essai sur la charité et les écoles de charité» et de «defense du livre,» Lucien & Paulette Carrive (trad.). (Paris: Librairie philosophique J. Vrin, 1998).

"ثروة الأم" اقترح أن الفرد عندما يقصد أرباحه الخاصة، تقوده في حالات عديدة يد خفية لتعزيز هدف المصلحة العامة، الذي لم يكن جزء من نيته.

ويعتقد جل المنهجيين الفرديين الحاليين أن تتبع هذا المذهب يرجع إلى فكرة النظام العفوي كما اقترحها برنارد ماندوفيل ودفيد هيوم وأدام فيرغسون وأدام سميث. وفي هذا الصدد يقول السوسيولوجي لارس: "أضن أن هذا التحليل هو الأكثر تداولاً بين علماء الاجتماع والفلاسفة الذين يتشاركون في الالتزام بالليبرالية الكلاسيكية مما يشير إلى وجود علاقة بين المنهجية الفردانية والسياسية. مهما كان الأمر، فإن أول أولئك الذين يقتنون أصل المنهجية الفردانية يردونها إلى ماندوفيل والفلاسفة الأسكتلنديين، وكانوا حرصين على الإشارة إلى أن هذه النسخة من الفردانية ليست أقل عقلانية فحسب، بل هي كذلك أقل راديكالية من نظرية العقد الاجتماعي" (Udehn, 2002, p.10). ما يجب الإشارة إليه، هو كون التصور الأسكتلندي للفردانية، ينطلق من الفرد الإنساني ككائن اجتماعي يتوفر على لغة ومؤسسات اجتماعية أخرى. في هذا الشأن، يصرح أدهين قائلاً "أنفق مع هذا التأويل، لكنني أقترح أن هذا التصور للمنهجية الفردانية مختلف، ليس فقط عن ذلك المتضمن في نظرية العقد الاجتماعي، لكن أيضاً في جميع التصورات المعلنة عنها صراحة؛ وذلك قبل أن يقترح جوزيف أغاسي Joseph Agassi مبدأ الفردانية المؤسسية (Udehn, 2002, p.10).

2. جذور المنهجية الفردانية في علم الاقتصاد:

أ- أدام سميث، فردي أم غير فردي؟

يشكل الاقتصاد الكلاسيكي مصدراً من مصادر الفردانية، بحث أن عديد الباحثين حاولوا قراءة أعمال بعد رواد الاقتصاد الكلاسيكي نظير أدام سميث بهدف استخلاص الملامح التحليلية التي تعكس الفردانية كأسلوب منهجي في معالجتهم لقضايا المجتمع والاقتصاد. وحسب Hayek فالمنهجية الفردانية تتأسس على أطروحتين أساسيتين، تتجلى الأولى في أنه لا توجد طريقة أخرى لفهم الظواهر الاجتماعية سوى الخوض في أفعال الأفراد تجاه الآخرين معتمدين في ذلك على سلوكهم المتوقع، في حين، تتجلى الأطروحة الثانية في أنه عبر تتبع الآثار المجمعة للأفعال

الفردية يمكن اكتشاف أن العديد من المؤسسات التي تستند إليها الإنجازات الانسانية قد تظهر وتعمل في غياب الروح المنظمة. وعليه، يشكل كل من النظام العفوي والفردانية، في نظر هايك، فكرتين توأمين أو متماثلتين؛ بحيث توفر الفردانية الطريقة المثمرة الوحيدة لتحليل الظواهر الاجتماعية، في المقابل، يظهر النظام العفوي بمثابة الاكتشاف الرئيس الذي أدى إلى تطبيق هذه المقاربة (Hayek, 1948, p.6). انطلاقاً من تأويل هايك لأعمال كل من ماندوفيل وفيرغسون وسميت ومنجر، يتبين مدى تناسب المقاربة الفردانية مع النظام العفوي، وإذا كان إسهام ماندوفيل يتمثل في الافكار الثلاث الآتية:

- 1- النظام العام للمجتمع هو نتاج الأفعال الفردية.
- 2- تنتج هذه الأفعال نتائج مفيدة لم يتوقعها الفاعلون الذين قاموا بها.
- 3- يعزى انبثاق هذا النظام العفوي إلى مجموعة قواعد هي في حد ذاتها ثمرة تطور عفوي. وإسهام فرغسون يتجلى في كون المؤسسات الاجتماعية ليست اختراعات واعية، لكنها تطورت تدريجياً بشكل غير مقصود- كما سبقت الإشارة- فإن اليد الخفية لأدام سميت تشكل المثال البراغماتي لما نسميه النظام العفوي وفهم اشتغال السوق وأيضاً دليل على خصوصية التحليل الفردي.

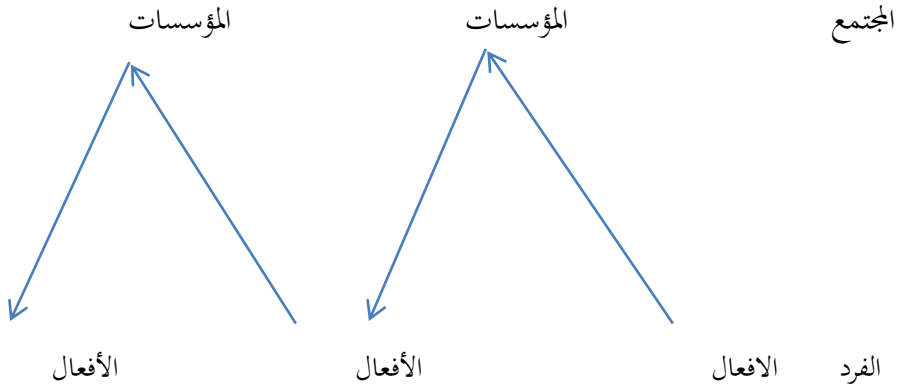
وفي مقال للاقتصادي Andy Denis بعنوان: "هل كان أدام سميت فردانيا؟" يستشهد دنيس بنص لصاحبه Macfie قائلاً: "إن الاعتقاد بكون سميت كان فردانياً -وهو ما متعارف عليه في علم الاقتصاد- هو عكس الحقيقة، بحيث أن مصالح المجتمع هي الغاية بالنسبة لهيوم وسميت، وعليه ينبغي تشجيع الفرد في الحصول على "الحلي" بكل الوسائل ما دام ذلك يحقق هذه الغاية" (Macfie, 1961, p.12-27). وفي هذا المستوى، يعتبر دنيس أنه بعد مرور أكثر من ثلث قرن على ملاحظة ماكفي، لا تزال النظرية المعيارية لأدام سميت بين الاقتصاديين تنسب إليه النزعة الفردانية العادية والصريحة.

ب- كارل منجر: المنهجية الفردانية في الاقتصاد:

على خلاف المدرسة السوسيولوجية الفرنسية في شخص دوركهيم التي نأت بنفسها عن الاقتصاد، عرفت السوسيولوجيا الألمانية تفاعلاً مشمراً بين الاقتصاد والتاريخ وعلم الاجتماع

بفضل التأثير الذي مارسه المدرسة التاريخية والفلسفة الماركسية. وفي هذا السياق، تجددت النظرية الاقتصادية مع كارل منجر Carl Menger (Boudon, 1992, p.25-26)، حيث تعد المدرسة النمساوية للاقتصاد أهم مصدر متفرد للمنهجية الفردانية في علم الاجتماع. فقد دافع مؤسسها منجر عن استخدامه لمنهجية ذرية ضد أعضاء المدرسة التاريخية الألمانية وفي نفس التوجه وصاغ جوزيف شومبتر Joseph Schumpter مصطلح "المنهجية الفردانية" (Schumpter, 1983) للإشارة إلى هذه المنهجية لدراسة الظواهر الاقتصادية خاصة "المقاول". غير أن الجزء المهم من برنامج منجر الفردي لا ينحصر في دراسة الأسعار فحسب، بل ينطبق على كل المؤسسات الاجتماعية التي تعد قابلة لهذا المنهج. هذا فضلا على أن منجر قدم توضيحا لنشأة المؤسسات وإمكانية الحفاظ عليها مضيفا نقطة أخرى تتعلق بالمؤسسات القائمة التي تشكل أفعال الأفراد وتؤثر فيها. وبناء على ذلك، يرى روبرت نوزيك Robert Nozick، أن التفاعل بين الأفراد والمؤسسات يجب أن يكون كالآتي (Udehn, 2002, p.124-125):

خطاظة الأفعال والمؤسسات حسب روبرت نوزيك:



المصدر:

Robert Nozick. «On Austrian Methodology» 1977, in Lars Udehn, Methodological individualism: Background, history and meaning. 2002. Routledge. New York. p.125

ركز منجر على مبادئ ثلاثة كأساس للعلوم الاجتماعية:

1. تفسير الظواهر الماكروسكوبية بالبحث عن مسبباتها الميكروسكوبية.
2. يجب البحث عن الأسباب في بواعث الأفراد.

3. مبدأ التبسيط عبر دمج الفاعلين في مجموعات أو في "أنماط مثالية" حسب مفهوم فيبر (Boudon, 1992, p. 26) للنموذج النظري.

يدعي المنهجي الفردي أن جميع النظريات في العلوم الاجتماعية يمكن اختزالها في نظرية الفعل الإنساني الفردي، إضافة إلى الظروف المعينة التي تحدد الشروط التي يتصرف بموجبها الأفراد (Nozick, 1977, p. 353).

3. الأسس السوسيولوجية للمنهجية الفردانية:

كما أشرنا سابقاً، لفهم سوسيولوجيا الفعل من المفيد الرجوع إلى الأصول الفكرية والتي نجدها في كتابات علماء الاجتماع الألمان خصوصاً فيبر في مؤلفاته "الاقتصاد والمجتمع" وكتاب "في النظرية العلمية" وزميل في كتابه "اشكاليات فلسفة التاريخ". على الجانب الفرنسي، أسس دوركهيم لبراديكم منافس وهو البراديكم الوضعي الذي لا يقبل فرضيات ذات صبغة سيكولوجية. لاستيعاب هذا الاختلاف في المرجعيات التأطيرية (البراديكم)، يجب استحضار الظروف والمناخ الفكري الذي ترعرع فيه كل من دوركهيم وفيبر حيث أن هذا المناخ كان مختلفاً بين فرنسا وألمانيا. في فرنسا القرن 19، كان المسيطر على المشهد الفكري هو أوغست كومت Auguste Comte. كان دوركهيم متأثراً بكثير من افكاره، خصوصاً تصوره "الكلياني" لما هو اجتماعي، وكذا نظريته التطورية للتاريخ وترتيبه للعلوم، إذ يعتبر أن السوسيولوجيا هي خاتمة العلوم وحلققتها الضائعة.

وطد وشرع دوركهيم هذه التطورية للعلوم عن طريق تأكيده لإقصاء مجموعة من الاختصاصات الأخرى كما فعل استاذة كونت: التاريخ وعلم النفس والاقتصاد، وعلم الاجتماع ملزم بعدم الأخذ بالسيكولوجيا. تريد هذه السوسيولوجيا في القرن 19 أن تسير على خطى الفيزياء بإيجاد ووضع القوانين الاجتماعية على شاكلة القوانين الفيزيائية، هذه القوانين الاجتماعية مدعوة لأن تربط بين "الوقائع الاجتماعية".

يعدد الفعل الاجتماعي موضوع السوسيولوجيا الفيبيرية؛ وقد كتب فيبر في هذا الصدد أن هدف السوسيولوجيا هو فهم وتوضيح مسير هذا الفعل من خلال المعنى الذي يعطيه الفاعلون

لأفعالهم؛ غير أن فيبر لا يكتفي بفهم الفعل، بل يتعداه إلى التأويل بغية تفسيره سببيا ليعتبر ويتبع مسيره وتأثيراته. وعليه، تأخذ السوسيولوجيا الفيبرية الأفعال الفردية كنقطة انطلاق، لكنها لا تقتصر على ذلك بل تمضي عبرها لتوضيح مختلف الظواهر الاجتماعية المركبة

تعد السوسيولوجيا بالنسبة لفيبر، هي علم الفعل الاجتماعي، وقد أسند للسوسيولوجيا هذا الغرض في دراسته "حول بعض فئات السوسيولوجية الفهمية"* التي نشرت سنة 1913، حيث كتب أن موضوع السوسيولوجيا هو الفعل الاجتماعي للأفراد وهدفه هو فهم وتوضيح مسير هذا الفعل من خلال المعنى الذي يعطيه الفاعلون لأفعالهم. في عمله اللاحق "المصطلحات السوسيولوجية الأساس" وصف فيبر السوسيولوجيا على أنها علم يدرس الفعل الاجتماعي محاولة فهمه عن طريق التأويل لتفسيره سببيا في مسيره وتأثيراته.

تأخذ السوسيولوجيا الفيبرية الأفعال الفردية باعتبارها نقطة انطلاق، لكنها لا تقتصر على ذلك، بل تمضي عبر هذه الأفعال لتوضيح مختلف الظواهر الاجتماعية المركبة وتكوينها على غرار المجتمع المحلي أو المجتمع أو الرأسمالية أو الدين. مع ذلك، لا تزال تُفهم باعتبارها تمظهرات لأفعال الأفراد الواقعيين في السعي وراء أهدافهم وقيمهم. مع ذلك، لم تمنع هذه المقاربة الإسمية* فيبر من التفكير في كون الظواهر الفردية يمكن -كمنتجات للفعل البشري- أن تصبح مستقلة عن الأفراد وتضع نفسها كنوع من القوة الخارجية*.

اقترح فيبر تعريفا دقيقا للفعل الاجتماعي باعتباره سلوكا دالا اجتماعيا، ومن تم يميزه عن السلوك البسيط: كل "سلوك بشري" ليس هو فعل اجتماعي، وعليه، تقتضي الخصوصية الفيبرية للواقع الاجتماعي معنى ثقافي للأفعال البشرية (Passeron, 1994, p.6). وبذلك، لا يعد أي فعل موضوعا للسوسيولوجيا الفيبرية. ميز فيبر بين السلوك والفعل والفعل الاجتماعي كمفاهيم. لقد عرف السلوك على أنه رد فعل فرد (أو مجموعة من ردود الفعل) على المنبهات التي يتلقاها

*-Über einige Kategorie der verstehenden Soziologie

*-nominalistic approach

*-انظر على سبيل المثال أفكاره بخصوص iron cage of rationality هذا المصطلح أصبح راسخا بفضل ترجمة بارسنز لكتاب فيبر: "الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية".

من بيئته أو أنتجها بنفسه. وعرف الفعل في ارتباط بمفهوم السلوك، مبرزاً أن الفعل هو كل سلوك بشري (بغض النظر عما إذا كان صريحاً أو خفياً أو امتناعاً أو سلباً) بقدر ما يولي الفاعل معنى شخصياً له. بدون هذا المعنى الذاتي، يكون الفعل مجرد "سلوك تفاعلي"، باختصار، الفعل ذو مغزى.

يعني فيبر كون الفعل الاجتماعي فعلاً يتصل معناه الذاتي المقصود من قبل شخص أو أكثر بسلوك الآخرين وبالتالي توجيهه في مجراه. في هذا الصدد، يلاحظ فيبر أنه ليس كل نوع من الفعل يعد اجتماعياً؛ فالأفعال الموجهة ظاهرياً ليست فعلاً اجتماعياً إذا كان موجهاً فقط إلى ردة الفعل المتوقعة نحو الأشياء المادية وليس للأفراد الآخرين (Jiří Šubrt. "The Two Lines of Theoretical Thinking in Sociology". 2019. In Individualism, Holism and the Central Dilemma of Sociological Theory,) <https://doi.org/10.1108/978-1-78769-037-020191003>

يعد أول مبدأ في سوسيولوجية الفعل هو اعتبار أي ظاهرة اجتماعية نتيجة لأفعال ومعتقدات ومواقف وسلوكيات الأفراد. يكمل المبدأ الثاني الأول، حيث يسعى كل عالم اجتماع إلى تفسير ظاهرة اجتماعية بناءً على رصد "معنى" لهذه السلوكيات الفردية التي تشكل مصدر الظاهرة. يمكن توضيح هذين المبدأين بمثال بسيط نقتبسه من الألماني زيمل في كتابه "إشكاليات فلسفة التاريخ"، حيث يقول: نريد فهم وجود قنطرة سان كوطار Saint Gothard، إنها نتاج لمجموعة من الأفعال، تشمل قرارات سياسية وعلمية وهندسية، وكذلك نتاج للأفعال المتعلقة بالتنفيذ (أي أفعال البناء). تفسير وفهم وجود القنطرة هي إعادة تشكيل هذه الشبكة من الأفعال وكذا البحث في مسببات هذه الأفعال، وبذلك فسوسيولوجية الفعل تتبع نفس النموذج التفسيري لفهم الظواهر. ويمكن أن نقترح مثلاً آخر بسيط في المجال الاقتصادي: كتفسير انخفاض ثمن منتوج في السوق برده إلى استخراج القرارات المتشابهة لمجموعة من الفاعلين الذين لهم علاقة بهذا الانخفاض، ونعني بهم كل من المنتجين والموزعين والمستهلكين للمنتوج. وعليه، يقتضي فهم الظاهرة وتفسيرها تحديد الفاعلين الذين يهمهم الأمر، ثم إيجاد البواعث التي دفعتهم في اتجاه الاتيان بالأفعال التي أدت إلى انخفاض الثمن.

بناء عليه، تفسر سوسيولوجية الفعل كل الظواهر الاجتماعية بهذه الطريقة، كما هو الشأن بالنسبة لظواهر التغيير في المعتقدات والتقاليد والقيم وغيرها (كما دأب فيبر على ذلك في كتابه الاخلاق البروتستانتية). وخير مثال على ذلك ما قام به كارل مانهايم Karl Mannheim في كتابه "الايدولوجيا والطوباوية" (Mannheim, 1956)، حيث تساءل: لماذا اندثرت تدريجيا النظرة السلبية ازاء الاقتراض بالفائدة؟ الجواب: اندثرت بفعل تقدم المبادلات وتكتفها وتعتقدها. ويستنتج مانهايم الملاحظة الآتية: إذا كان الاقتراض يجمع بين أشخاص متعارفين فيما بينهم، فإن المقترض يمكن أن يسدي خدمات أخرى للمقرض تغنيه عن إرجاع القرض بالفائدة. لكن بتوسع المبادلات، لا يمكن للمقرض أن يقرض أشخاصا لا يعرفهم إلا بضمانات تطمئنه على أن المقترض سيرجع الدين بفائدة. وعليه، انمحت تدريجيا الصبغة اللاأخلاقية للاقتراض بالفائدة. وأضحت النظرة التجريبية والسلبية للإقراض بالفائدة محصورة في أوساط العائلة الوحيدة، وبين الأشخاص المتعارفين فيما بينهم. إذن، جعل مانهايم من اندثار النظرة السلبية للقرض بالفائدة، نتيجة لأفعال وسلوكات الفاعلين، ثم حل واستخرج "معنى" لها.

يمنح هذان المبدآن المؤسسان لسوسيولوجية الفعل الانطباع على أنهما بسيطين، لكن غالبا ما يكون تطبيقهما على دراسة الظواهر الاجتماعية بالصعوبة بمكان؛ ومرد ذلك إلى تعدد أسباب الظاهرة ذاتها. من جهة أخرى، يصعب ايجاد بواعث السلوك والفعل إذا لم يقر الفاعل نفسه بذلك، أو إذا كان الفاعل ينتمي إلى ثقافة غير مألوفة (بالنسبة للباحث) (Boudon, 1992, p.21-23).

ثانيا: مبادئ سوسيولوجيا الفعل

أ- المنهجية الفردانية:

أول مبدأ هو "الفردانية المنهجية": تعد كل ظاهرة اجتماعية هي نتاج أفعال معتقدات أو سلوكيات فردية. هذه العبارة -كما أشرنا سابقاً- جاء بها لأول مرة الاقتصادي النمساوي شومبتر في كتابه "تاريخ التحليل الاقتصادي" سنة 1954. لكن، يعتبر الاقتصادي فون هايك أول من أسهم في نشر وتداول هذا المبدأ وكذا فيلسوف العلوم كارل بوبر (Glaasen, 1967, p.142- Karl Popper, 150). ويعد ماكس فيبر أول من ذكر هذا المبدأ في رسالة له إلى صديقه روبر ليفمان Robert Liefmann (Weber & Grossein, 2005, p.923-928)، حيث يوليه فيبر اهتماما كبيرا في الصفحات الأولى من كتابه "الاقتصاد والمجتمع".

غير أنه يجب التمييز بين مختلف معاني "الفردانية"، التي تكتسي دلالات مختلفة نظير الدلالة الأخلاقية والدلالة السوسيولوجية والبعد المنهجي. ويتجلى المعنى الأخلاقي في كون الفرد المصدر الأعلى للقيم داخل المجتمع. أما المعنى السوسيولوجي، فيجعل من استقلالية الفرد قيمة سامية، وأخيرا يحيل المعنى المنهجي للفردانية إلى كون الفرد هو الحجر الأساس الذي نرجع إليه في تحليلنا لمختلف الظواهر أو السلوكيات أو المعتقدات أو القيم باعتباره المصدر الرئيس لها. تعرض مبدأ "الفردانية المنهجية" لعدد من الانتقادات، أحدها كونه لا ينطبق إلا على المجتمعات الفردانية التي تعترف باستقلالية الفرد، ولا ينطبق على المجتمعات التقليدية التي ينمحي فيها الفرد لصالح المجموعة. وفي هذا خلط بين المعنى المنهجي والاستيمولوجي للفردانية. والدليل على ذلك هو دراسات إفانس بريتشارد-Pritchard (1937) Evans على الأزند وهو مجتمع تقليدي سوداني، حيث بين مدى كون أفراد هذا المجتمع مشككين ولعوبين بالمقارنة مع أفراد المجتمعات الحديثة.

لا يعد هذا المبدأ (الفردانية المنهجية) الفاعل الاجتماعي معلقا في فراغ اجتماعي، بل على العكس من ذلك، لقد خضع للتنشئة الاجتماعية ويتفاعل عبرها مع الآخرين، وله معتقدات؛ بعبارة أخرى إنه يتحرك داخل وسط يفرض عليه إكراهاته. في هذا الصدد، يؤكد بودون أن فردانية زيمل كما هي عند فيبر ليست ذرية، فالأفراد لا يتم تعليقهم في فراغ اجتماعي، إنهم أفراد متموضعون اجتماعيا ولهم ماض وموارد ومعتقدات مشتركة، وفي هذا الإطار يتصرفون وفقها؛ لذلك من

الضروري التمييز بين الفردانية والذرية، وهما مفهومين مختلفين تماما (Lemoune & Thibaud, 1985, p.101-102).

ولا يمنع مبدأ "الفردانية المنهجية" من تجميع الفاعلين داخل مجموعات إن كانوا يتقاسمون بعض الميزات، ثم إن هذا المبدأ لا ينطبق فقط على الأفراد، بل كذلك على المجموعات: مثل المقاولات والحكومات وغيرها، حيث يمكن اعتبارها "فاعلا فردانيا"، بمجرد توفرها على نظام القرار الموحد (مساطر اتخاذ القرار باسم مكونات المجموعة) (Boudon, 1984, p.40). ينص مبدأ المنهجية الفردانية على أنه يهدف تفسير أي ظاهرة اجتماعية، سواء كانت ديموغرافية أو سياسية أو اجتماعية وفي أي مجال معرفي اجتماعي معين آخر. ومن الضروري إعادة بناء دوافع الأفراد المعنيين بالظاهرة وفهمها باعتبارها نتيجة لتركيب السلوكات الفردية التي تملئها هذه الدوافع. ويعد هذا المقترح صالحا أيا كان شكل الظاهرة التي يتعين تفسيرها، سواء كانت مفردة أو انتظاما احصائيا أو تنتج عنها مجموعة من المعطيات الكمية أو الكيفية (Birnbbaum & Leca 1991, p. 46)

يمكن تلخيص هذا البراديجم كما هو مبين أسفله:

لكن ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية ما نرمز لها ب M والتي نبحث عن تفسيرها. يجب تأويل M على أنها دالة $M(m_i)$ مجموعة أفعال فردية m_i . أما فيما يخص الأفعال الفردية m_i فهي كذلك حسب الظروف التي يجب تدقيقها، هي دوال (S_i) m_i للبنية S_i التي هي بنية الوضعية التي يتواجد فيها الفاعلون أو الوكلاء الاجتماعيين. الدالة (بالمعنى الرياضي) (S_i) m_i يجب تأويلها على أنها بالنسبة إلى الفاعل i وظيفة التكيف مع الوضعية S_i . كان فيبر ليقول على أن الفعل m_i له قابلية. البنية S_i هي من جانبها دالة (M') S_i لمجموعة من M' من معطيات تنتمي للمستوى الماكروسوسيولوجي أو على الأقل إلى النسق الذي تنشأ فيه الظاهرة M .

تفسير M_i هي بشكل ملخص حسب هذا البراديجم العام (براديجم المنهجية الفردانية) القيام بتحديد حدود $M = M \{m [S(M')]\}$ ، صيغة يمكن كتابتها ببساطة $M = MmSM'$. تعبيريا، يمكن القول: الظاهرة M هي دالة للأفعال m ، هي نفسها (أي الأفعال) تابعة للوضعية S التي

يتواجد فيها الفاعل، هذه الوضعية تتأثر كذلك بمعطيات ماكرواجتماعية. يعد هذا المقترح الايبستيمولوجي الهام صائبا، مهما كانت الطبيعة المنطقية لظاهرة M، وهو صائب بالخصوص عندما تصف M تغيرا أو غياب التغيير، وعموما، معطى أو مجموعة من المعطيات المتعلقة بتطور نسق ما: $Mt, Mt + 1, \dots, Mt + k$ (Boudon, 1984, p. 40).

وهكذا يجب أن ينطلق علم الاجتماع من أفعال الأفراد المنفصلين باعتبارهم الأساس في تشكيل أي ظاهرة اجتماعية ومبدأ تفسيرها (Berthelot, 2001, p.374). بشكل عام، تتصور المنهجية الفردانية (كما طرحها بودون) الانتظامات والقوانين كصلاحية مؤقتة ومحلية، لأن القانون -وهو انتظام يظهر على المستوى الماكروسكوبي- هو دائما نتاج العديد من الأفعال الفردية. هكذا، يمكن أن تتأثر سلوكيات الفاعلين بالتغيرات الطفيفة في البيئة التي يتنقلون فيها(..). باختصار، يجب اعتبار القوانين الاجتماعية ذات صلاحية محلية ومؤقتة باعتبارها ظواهر مشنقة وليس كمبادئ نشطة. وأخيرا، لا حاجة للتعامل مع الانتظامات بدل التعامل مع الفردية (Aimé & Paul, 1985, p.105).

ب- مسلمات العقلانية

من المؤكد أن فيبر درس العقلانية باعتبارها أحد المفاهيم السوسيولوجية الأساس، حيث يتواجد هذا المفهوم في جل كتاباته تقريبا بما فيها كتابه حول الموسيقى المعنون بالأسس العقلانية للموسيقى. وقد اهتم بالدلالات المختلفة لمفهوم العقلانية ومظاهر اللاعقلانية، حيث انتهى إلى أن العقلانية لا تعد مفهوما تاريخيا وسوسيولوجيا، بل إنها سيرورة معرفية وتطور مستمرين نحو المجتمع العقلاني الناشئ.

تعرف النظرية الفيبرية الفعل الاجتماعي العقلاني استنادا إلى التطابق بين الأهداف والوسائل التي يتخذها الفرد في وضعية معينة؛ أي تحقيق أهداف معينة عن طريق اختيار الوسائل المناسبة على أساس وقائع الوضعية. ومن ثم، فإن الفعل العقلاني ينطوي على "اختيار الأدوات" الناجعة لتحقيق هذه الأغراض. ومن ثم يعد أي فعل لا يتم وفق هذا النموذج النظري للفعل العقلاني

الصرف، بمثابة انحراف. ومن ثم، يشكل الفعل العقلاني المحض نمطا مثاليا يتميز بالوضوح على مستوى الفهم، لذا يتخذ المنهج السوسيولوجي كأساس عقلاني (Zafirovski, 2005, p.90).

وعلى صعيد آخر، ترتكز نظرية الاختيار العقلاني -أو ما يسمى نموذج المنفعة المتوقعة- على مجموعة من المسلمات يمكن تقديمها حسب بودون كالآتي:

-م1: (مسلمة الفردانية) كل الظواهر الاجتماعية هي نتاج الأفعال والقرارات والمواقف والسلوكات والمعتقدات وخلافه.

-م2: (مسلمة الفهم) كل هذه الأفعال والقرارات والمواقف والسلوكات والمعتقدات الفردية تكون -مبدئيا على الأقل- مفهومة.

-م3: (مسلمة العقلانية) تفترض المسلمة الثالثة أن الأفعال والقرارات والمواقف والسلوكات والمعتقدات التي يجب أن تعرفها العلوم الاجتماعية هي نتاج الدوافع التي يمكن أن يدركها الفرد بوضوح إلى حد ما.

-م4: (مسلمة النتائجية* أو الأدواتية*) وهي أن دوافع الفعل التي تظهر في الأفعال والقرارات والمواقف والسلوكات والمعتقدات هي نتائجه.

-م5: (مسلمة الأنانية) تتجلى في كون الفرد يهتم حصريا أو بشكل أساس بنتائج الأفعال والقرارات والمواقف والسلوكات والمعتقدات التي تحقق مصالحه.

-م6: (مسلمة الغاية القصوى*) وهي أن الفرد يعرف ويزن مزايا وعيوب أحد الأفعال والقرارات والمواقف والسلوكات والمعتقدات ويفضلها على الأخرى، بمعنى أن الفاعل يختار الفعل الذي يحقق أقصى ربح بأقل تكلفة. (Boudon, 2003, p.19-21)

وحسب "المنهجية الفردانية"، تعد الظاهرة الاجتماعية نتيجة لأفعال أو معتقدات أو سلوكات الأفراد، ولكي يكون التفسير كاملا يجب الجواب عن السؤال الآتي: لماذا هذه الأفعال أو المعتقدات أو السلوكات؟ أي البحث عن معناها، ويسمي فيبر هذه الطريقة في التحليل بالفهم.

*-conséquentialisme
* l'instrumentalisme
* maximisation

تعتبر سوسيولوجية الفعل أن سلوك الفاعل يكون قابلاً للفهم مبدئياً، وذلك عبر تحديد العوامل التي دفعت بالفاعل الاجتماعي إلى اتیان هذا السلوك، ذلك الفعل أو الإيمان بهذا المعتقد أو ذاك. لكن، إيجاد هذه العوامل ليس بالأمر السهل، إذ يتوجب إعادة "بناءها" عبر تقاطعات كما هو الشأن في تحقیقات الشرطية.

لكن، هناك بعض الصعوبات "لفهم" أفكار الآخرين، والتسرع في الحكم عليها بـ "العقلاني"، إذ يقتضي الأمر لفهم سلوك الآخر ضرورة أن يضع الباحث نفسه في مكان الفاعل والتساؤل هل سيأتي بنفس الفعل أو السلوك أو المعتقد؟ وتعد هذه الطريقة المنهجية الرئيسة التي اقترحها فيبر لفهم سلوك وأفعال الأفراد؛ لكن يصعب في بعض المواقف اتباعها، مما يؤدي بنا إلى إصدار أحكام قيمة على أفعال الآخرين نظراً لاختلاف بيئتنا وثقافتنا عن بيئتهم وثقافتهم. غير أن سوسيولوجية الفعل، تتعامل مع الفرد -في فرادته- على أنه فاعل عقلاني من حيث كون جميع أفعاله قابلة للفهم.

تعرض مصطلح "القابلية للفهم" لعدة انتقادات، منها أنه ملتبس، وذهب آخرون إلى قول إن سوسيولوجيا لا تتوافق مع هذا المصطلح لأن القابلية للفهم تدفع في اتجاه الذاتية. كان هذا موقف دوركهيم وكذلك فيلسوف العلوم تيودور أبل (Theodore Abel) (1964)، هؤلاء المنتقدين، حسب دعاة سوسيولوجية الفعل يخلطون بين "الموضوعية" و"الخارجية"، إذ أن القابلية للفهم لا تعارض الموضوعية.

العقلانية أم العقلانيات؟

يقتضي فهم فعل أو سلوك الفاعل الاجتماعي إيجاد العوامل التي كانت وراء الإتيان بالفعل أو السلوك وإعادة بناءها. وتؤمن سوسيولوجية الفعل بمبدأ عقلانية الفاعل الاجتماعي. ويمكن القول: إن عالم الاجتماع يعتبر سلوك ما عقلانياً في كل مرة يتسنى له تفسير السلوك على الصيغة الآتية: "كون الفاعل "أ" أتى سلوك "ب" فهو قابل للفهم: إذ أن في وضعه ذاك، له من الأسباب ما سيؤدي به إلى الإتيان بسلوك "ب". تمكّن هذه الطريقة التعبيرية من التمييز بين العقلانية واللاعقلانية. ومما سبق يمكن تمييز ثلاثة تعاريف لمصطلح العقلانية:

- 1- السلوك العقلاني هو السلوك الذي يركز على أسباب موضوعية، مثال: عابر الطريق ينظر يمنة ويسرة حتى لا تصدمه سيارة، للعابر أسباب موضوعية ليلتفت يمينا ويسارا.
 - 2- كل سلوك يعتمد على أسباب فهو عقلاني كيفما كانت الأسباب (تعريف جد واسع اعتمده كارل بوبر).
 - 3- تعريف وسطي (يتموضع بين التعريفين السابقين)، يعد عقلانيا ذلك السلوك الذي يمكن لنا أن نقدم له تفسيراً على مستوى الشكل: "أ" له أسباب للقيام بالفعل "ب" "لأن..." دون مواجهة النقد وبدون أن يكون لنا الاحساس في الوقوع في خطاب غير متطابق.
- على خلاف هذا اقترح فيبر نموذجاً رباعية للفعل الاجتماعي: الفعل العقلاني حسب الغاية، حيث يتم التطابق بين الأهداف والوسائل المستعملة (مهندس القنطرة). والفعل العقلاني حسب القيمة (غرق قبطان السفينة مع سفينته إرادياً) ثم الفعل التقليدي (الوفاء للتقاليد أو الماضي أو الكاريزما). وأخيراً الفعل العاطفي (لطمة اللاعب لزميله في الملعب).
- نذكر هذا لأن فيبر تعرض لأربعة أشكال من الفعل، الفعل العقلاني الذي يربط بين الوسائل والأهداف، والأفعال العقلانية التي تربط بين القيم والأهداف، الأفعال التقليدية ثم الأفعال العاطفية. لكن، يمكن الحديث عن تقسيمات أخرى للعقلانية، حسب نوعية الأسباب التي يعتمدها الفاعل الذي أتى بفعل أو سلوك أو آمن بمعتقد ما (المعتقد هنا لا يحيل فقط على الدين، بل على كل مناحي الحياة، كأن يعتقد المرء بأن الاختصاصات العلمية تكون أجدى للطالب في إيجاد شغل مقارنة بالاختصاصات الأدبية). إذا كانت الأسباب ذات طبيعة مصلحية، فالعقلانية تدعى نفعية، وإذا كانت الأسباب ترجح القيم، كانت العقلانية عقلانية قيمية، وإذا كانت الأسباب ذات صبغة نظرية نقول إن العقلانية معرفية.

العقلانية الموضوعية:

إن الحديث عن العقلانية الموضوعية ممكن عندما يستعمل الفاعل أفضل الوسائل للوصول إلى هدفه، ويتحدث عالم الاجتماع الإيطالي فيلفريدو باريتو Vilfredo Pareto عن "الأفعال المنطقية". هذا تعريف ضيق للعقلانية (أفضل الوسائل لتحقيق الهدف) (Boudon, 1992,

(38-34p)، فهناك أفعال تعتبر وسائل مناسبة وتتحدد منطقياً مع هذا الهدف، يضيف باريتو؛ سنسمي الأفعال المنطقية العمليات التي تتحدد منطقياً مع هدفها وليس فقط فيما يتعلق بالموضوع التي تقوم به هذه العمليات، ولكن أيضاً بالنسبة إلى الذين يمتلكون معرفة على نطاق أشمل (Boudon, 2000, p.165). في عمله "العقل والمجتمع" ميز باريتو بين الفعل المنطقي الفعل غير المنطقي والسلوك اللامنطقي. الأول هو الاختيار العقلاني؛ إنه منطق الأهداف والوسائل بحيث تكون هذه الوسائل مناسبة للأهداف، أما الفعل غير المنطقي، يحيل على سلوك غير متجدر في التفكير في الوسائل-الأهداف، ويعتقد باريتو أن القليل من السلوك البشري يعد غير منطقياً. أما النوع الثالث، أي الفعل اللامنطقي، أي فينطوي على "المشاعر والرواسب".

نصطلح على مبدأ العقلانية المقصودة مبدأ باريتو-سايمين (على اعتبار أن باريتو أسس للعقلانية المقصودة وسايمن أغناها). (Jones, 2002, p.27) نستنتج أن كل من فيبر* وباريتو وسايمن تحدثوا عن العقلانية المقصودة بصيغ مختلفة، إلا أن باريتو يربطها بنمذجته الثلاثية حيث يضيف الفعل غير المنطقي والفعل اللامنطقي، في حين فضل سايمين توسيع مفهوم العقلانية لتصبح بذلك لا محدودة في الزمان والمكان.

يمكن تعريف العقلانية بالمعنى الحصري للكلمة انطلاقاً من مفهوم البحث عن الغاية القصوى، بغض النظر عن التكلفة*، من جهة أولى، والبحث عن الزيادة القصوى بأقل تكلفة* من جهة ثانية. لكن، قد يصعب قيام الفعل في الواقع، تحديد الوسائل المثلى أو الهدف الأكثر طموحاً، حيث يتم تعديل الوسائل والأهداف وتصحيحها أثناء إنجاز الفعل نفسه. بالتالي لا نبحث عن الكمال في أفعالنا، وإنما نقف عند الهدف المرضي دون السعي نحو الأهداف الأفضل منه، وهذا ما سماه هربرت سايمين Herbert Simon بالعقلانية المحدودة (Simon, 1957)، حيث لا يسعى الفرد لتحقيق كامل أو تام لأفعاله بل يتوخى الحل المرضي وليس الحل الكامل،

*- يستعمل فيبر مصطلح l'incomplétude للإشارة للتباين والتعدد والتشعب الذي يتصف به الواقع الملموس اللامحدود، ولا يمكن للعقل الانساني أن يحصره ويستوعبه في شموليته. تجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح يتردد بكثير في عمله: "مقالات حول نظرية العلم".

*-maximisation

*-optimisation

نظرا لأن المعلومات أو المعطيات التي يستند إليها الفاعل محدودة وتحد من طموحاته، كما يوضح بودون، حيث يقول: "إن توفير قائمة بالوسائل الناجعة تظل مهمة مستحيلة ومكلفة في الوقت نفسه" (Boudon, 1984 p.56). تجدر الإشارة هنا، كون هذه العقلانية هي الأكثر تطبيقا في علم اجتماع التنظيمات.

العقلانية الذاتية:

يعتبر سايمن من اقترح مفهوم العقلانية الذاتية (Simon, 1982) الذي ينطبق على كل الحالات الخارجة عن وصف العقلانية الموضوعية، حيث يكون التمييز بين الوسائل والأهداف ملتبسا، كما أن الفاعل يحدد سلوكه انطلاقا من قيم وقواعد من أجل فهم وضعيته التي سيحدد من خلالها أهدافه ويختار إمكانيته.

لكننا نبتعد كلية عن مفهوم العقلانية الذاتية، من تمثل الفعل على أنه بحث عن الاختيار الأقصى من بين الاختيارات الموجودة؛ حيث يقرر الفاعل انطلاقا من مجموعة المبادئ التي يرى على أنها أنسب لواقعه. إن المهم هو أن العقلانية الذاتية تحيلنا على أن الفعل يعتمد على مجموعة أحكام مسبقة: إما أن تكون مبادئ أو قيم ومعايير أو مقترحات وصفية أو كل هذا في الوقت نفسه. إلا أن هناك بعض الاقتصاديين وعلماء النفس المعرفيين والسوسيولوجيين الذين اقترحوا تسمية هذه العقلانية الذاتية بالعقلانية المعرفية (العقلانية السيكلوجية).

اللاعقلانية: موضوع للسوسيولوجيا؟

هناك العديد من السلوكات الصادرة عن الأشخاص التي لا يمكن فهمها على طريقة "الشخص أ" له أسباب تجعله يأتي "بالفعل ب" "لأن له مبرراته"، وبذلك نصنف هذه السلوكات على أنها غير عقلانية، أي أن الفرد يأتي بتصرف دون سبب مفهوم (بالنسبة إلينا)، حيث يكون عادة بدافع قوى نفسية تخرج عن طوعه، مثل التعرض لتأثير الغرائز.

وعليه، من الأفيدي اجتتاب تأويل الفعل باللاعقلانية وتفسيره، لأنه غالبا ما يلجأ الباحث إلى وصف تصرفات الفاعلين باللاعقلانية تحت تأثير ظاهرة الإسقاط عندما يكون نقص في المعطيات لدى الباحث، لكن التفسير الذي ينتج عن هذا الإسقاط يكون خاطئا (يغطيه بإضفاء

مميزات وسطه على العينة المدروسة). في هذا الصدد، يصر كل من فيبر وفيلسوف العلوم كارل بوبر على كون الفاعل عقلانياً ومن تم البحث الجدي عن الأسباب التي دفعته إلى الفعل. ولا يجدر بنا، وصف فعل ما على أنه لا عقلاني، إلا عند عدم إيجادنا لأسبابه؛ ويسمى بوبر هذا المبدأ "الفرضية صفر" (أي اعتبار الفاعل عقلاني دائماً إلا في حالة تعذر إيجاد الأسباب).

ج- الآثار التركيبية:

يتم تحليل الظواهر الاجتماعية من خلال سوسيولوجية الفعل عبر ثلاثة مراحل وهي:
-أولاً: تحديد الفاعلين أو مجموعة الفاعلين المرتبطين بالظاهرة المراد تحليلها (إنهم مالأك الأراضي بالنسبة إلى توكفيل والكلفانيون في الاخلاق البروتستانتية لفيبر، زعماء الطوائف في مقاله حول الطوائف في الولايات المتحدة).

-ثانياً: فهم سلوك الفاعلين (لماذا يختار الطلبة البروتستانت في دوقية "باد" Bade المواد العلمية أكثر من الطلاب الكاثوليك، يتساءل فيبر (1920)؟)

-ثالثاً، يتعلق الأمر بتفسير الكيفية التي تنتج بها السلوكات الفردية الظواهر الماكروسكوبية. نسمي هذه المرحلة الثالثة "تركيب الأفعال الفردية" للحصول على الظاهرة الماكروسكوبية، وهي مرحلة ليست بالصعبة وتأخذ طابع التجميع، وهذا التركيب إما أن يحدث آثاراً "بسيطة" أو آثاراً "مركبة" (Boudon, 1992, p.44-45).

1. الآثار البسيطة للتركيب:

هي آثار تأخذ شكلاً "تجميعياً"، وحسب ريمون بودون، اعتمد كل من أدام سميث 1776 ودوركهايم 1873 وهربر سينسر 1874-1875 منهجية التركيب لتفسير تطور تقسيم العمل. نفس الأمر، أي الآثار التركيبية، كانت حاضراً عند علماء الاجتماع المؤسسين في تفسيرهم لمختلف الظواهر، كفيبر (كتاب الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)، وتوكفيل (كتاب النظام القديم والثورة)، وماركس (كتاب الرأسمال).

2. الآثار المعقدة للتركيب:

تكون الآثار التركيبية في بعض الأحيان أكثر تعقيدا. هذه النقطة أثارتها الفلسفة السياسية الكلاسيكية؛ حيث دعا روسو إلى فكرة مفادها: أن الأفراد في ظروف معينة، بالرغم أن مصلحتهم تقتضي التعاون لكنهم لا يتعاونون، إذا لم يكن هناك ما يلزمهم للتعاون (القانون أو أي إكراه خارجي). ويروي لنا في كتابه "أصل الفوارق" قصة بسيطة لقناصين اتفقا أن يتعاونوا لقتل أيل مكان الأرنب الوحشي، فلما افترقا في الغابة على أساس هذا الاتفاق طال انتظارهم، فلم يمر أي أيل، ففكر كل واحد من جانبيه في ألا يعود خاوي الوفاض، فبادر كل في مكانه إلى صيد أرنب، بذلك انهار الاتفاق الذي أبرماه من أجل التعاون لأنه لم يكن هناك ما يكرههما ويجبرهما على التعاون.

يسمي منظرو (Neumann, Morgentern, 1953) "اللعب" هذه الآثار التي تنتج من اللاتعاون بين فردين متفقين على التعاون بـ "لعبة الأمان"؛ كل واحد من القناصين، بعد طول انتظار، وبعد عدم ظهور أي أيل، فضل أن يؤمن لنفسه ولو أربنا على ألا يرجع إلى بيته بدون صيد.

من بين الآثار الأخرى الأكثر تعقيدا، هي الآثار التي تسميها "نظرية اللعب" بـ "غز السجين" في إشارة إلى الحكاية التي تساعد على الفهم: لقد اقتيد المتهمين إلى قسم الشرطة، ثم تم استنطاقهما كل واحد بمعزل عن الآخر، ونظرا لأن القاضي ليست له أية أدلة على إدانتها

* تتأسس نظرية اللعب على افتراض أن جهد المشاركين هو زيادة للربح إلى أقصى حد وتحليل الخسارة المحتملة (مبدأ الحد الأدنى-الحد الأقصى). وضع عالم الرياضيات جون فون نيومان John Von Neuman الأساس لنظرية الألعاب في عشرينيات القرن الماضي (بعد جهود الرياضي الألماني Ernst Zermelo). حيث نشر بالاشتراك مع الاقتصادي أوسكار مورجينستيرن Oskar Morgenstern عملا شاملا بعنوان نظرية الألعاب والسلوك الاقتصادي (1953) والذي تناول بالتفصيل مسألة اتخاذ القرارات العقلانية. ارتبط تطور نظرية اللعب (الاستراتيجية) بمشاكل تطور الصناعة والتجارة الحديثتين أو قيادة الدولة أو تدبير النشاط الحربي. في جميع هذه المجالات والكثير من الأخرى، هناك حاجة للقرارات العقلانية في المواقف الصعبة للغاية ومع معرفة غير مكتملة بسلوكات المشاركين الآخرين. حدد نيومان ومورجينستيرن هذه الوضعيات على أنها "ألعاب" بالمعنى الرياضي، واكتشفا القواعد التي يتم إنشاؤها فيها.

ويسعى لانتزاع الاعتراف من أحدهما. كسبيل وحيد، في غياب الأدلة الأخرى، لسجن المتهمين. إذا لم يعترفوا معا سيطلق سراحهما، إذا اعترف واحد منهما، سيطلق سراحه في حينه، ويسجن الآخر بأقصى العقوبات. لكن بحكم أن القاضي يستجوبهما كل في مكان منعزل، فلم يترك لهما إمكانية التواصل فيما بينهما. ومن هنا تأتي تسميته بـ "لغز السجين" (prisoner's dilemma) من قبل Albert William Tucker. هذين المتهمين لهما المصلحة في أن يتعاونوا، إما الاعتراف فيحكما عليهما بأقل العقوبات أو بالإنكار فينال الحرية. وبذلك تقتضي الاستراتيجية التي تضمن المصلحة القصوى لكل سجين، أن يعترف بكون الآخر هو المسؤول عن الجريمة فينال الحرية ويكون لصديقه أقصى العقوبات. لكن انعدام التواصل فيما بينهما يجعل كل واحد في وضعية تنعدم فيها المعطيات والأخبار عن الآخر، فيتخذا معا قرارا معاكسا لمصلحتها (Boudon, 1992, p. 47-50). وعليه، خلصت نظرية اللعب^{*}، بعد دراستها للأثار التركيبية باستعمال العلوم الرياضية إلى كون أن أبسط وضعية تفاعلية يمكن أن تكون لها بنيات متعددة بحسب ما سيقره أحد أطراف التفاعل.

خاتمة: الفردانية والكلانية: زواج ممكن؟

يمكن أن نرصد الانتقادات الأولى للتوجه الفرداني في العلوم الاجتماعية عند إميل دروكهايم، حث حارب النزعة السيكلوجية التي تولي الأهمية للفرد دون الجماعة أو المجتمع. كما أعطى أهمية للأسبعية المنطقية والأنطولوجية للمجتمع على حساب الفرد. تتجاهل سوسيولوجية الفعل تأثير البنيات الاجتماعية في الفرد في نظر بعض النقاد نظير بيير بورديو وجون كلود باسرون؛ في حين يعد الفرد مستقلا عن هذه البنيات الاجتماعية في تصور البعض الآخر: السوسيولوجيون الألمان الشكليون نظير جورج زيمل. ويرى آخرون أن إعطاء الأولوية للعقلانية يتنافى مع ما وصل إليه تيار من علم النفس الحديث الذي يركز على البعد اللاعقلاني في سلوك الأفراد (سيغموند فرويد وكارل يانغ وويليام رايش).

^{*} -نظرية اللعب غير قادرة على التنبؤ كيف سينتهي الأمر في وضعية معينة، لكنها توضح كيف يجب أن يتصرف الناس لتحقيق النتيجة المثلى. عملت نظرية اللعب في البداية مع النماذج البسيطة التي افترضت أن مصالح الأفراد

يعد التصور الكلياني أكثر المنتقدين لتصور سوسيولوجية الفعل، وهذا التعارض دفع بعض الباحثين إلى محاولة التفكير في إيجاد حل توفيقي بين التصورين (Freitag, 1994, p.169-219). وتشترك الفروع الفردانية والكليانية في النظرية السوسيولوجية ببعض الأسس الإبيستيمولوجية المتفق عليها نظير الحياد المعياري وإعادة بناء الواقع علميا وصياغة مفاهيم إجرائية، إلا أنهما يختلفان نوعيا على المستوى التوجهات النظرية لكل من المجتمع والفرد. حيث تعتبر المنهجية الفردانية الفرد أساس الدراسة والتحليل لمختلف الظواهر، في حين، يعطي التوجه الكلياني في العلوم الاجتماعية -مثل الدوركهايمية والماركسية والبنوية والنسقية وغيرها- الأهمية إما إلى المجتمع أو الجماعة أو الطبقة.

غير أن المنهجية الفردانية تجد صعوبة في تفسير الظواهر الماكرو اجتماعية مثل الثقافة والحضارة والحدثة والصناعية والعولمة واشتغال الأنساق الفرعية الاجتماعية (الاقتصاد والسياسة...) والعلاقة بينهما. بتعبير آخر، يواجه المنهج الفردي صعوبة استيعاب ما يكمن وراء المستوى التفاعلي.

على خلاف التوجهات الكليانية التي انتقدت المنهجية الفردانية، حاولت مجموعة من السوسيولوجيين الوصول إلى تخرجة توفيقية بين كلا المنظورين؛ لكن بصيغ متفاوتة. وفي هذا الشأن، يمكن الإشارة إلى محاولة تالكوت بارسونز للتوفيق بين الدوركهايمية والفيبرية. ثم إلى نوربرت إلياس الذي اقترح مفهوم "التشكيل" * (Elias, 1981, p. 84) الذي يُمكن من الخروج من التقابل الكلاسيكي الذي يضع الفرد مقابل المجتمع (Elias, 1994). وإلى برونو لاتور الذي فضل الحديث عن مفهوم "الشبكات" التي لا تتعلق بالأفراد فحسب، بل تشمل مختلف الأشياء ذات الطبيعة المادية التي يسميها ب"الفاعل غير الانساني"

المشاركين في اللعبة متناقضة تماما، أي أن فوز أحد اللاعبين يعني بالضرورة خسارة لآخر. * Configuration أو Figuration ويعرفها نوربرت إلياس كونها شكل عام دائم التغير، الذي يتخذه اللاعبون؛ ويتضمن، ليس فقط فكرهم، بل أيضا شخصهم وأفعالهم وعلاقاتهم التبادلية [...] وتتخلل هذا الشكل مجموعة من التوترات.

*-Actant

تتأسس المحاولات الأخرى لتوحيد التصورين أي الفردانية والكلانية، في التناوب بين تصور وآخر أثناء القيام بتأويلات نظرية. وقد تم اتباع هذه الاستراتيجية التي توحد بين تعبيرات عديدة، منها صيغة بارسنز T. Parsons وبيرجر P. Berger ولوكمان T. Luckmann وغيرهم (Jiří, The Two Lines of Theoretical Thinking in Sociology, 2019, pp.86-87). <https://doi.org/10.1108/978-1-78769-037-020191003> ويوجد باحثون آخرون كان لديهم الطموح نفسه للتغلب على تناقض فرد/جماعة ومن بينهم لوك بولطنسكي Luc Boltanski ولورنت تيفنوت Laurent Thévenot اللذين تبنيا مقاربة تتأسس على توضيح المشاكل الاجتماعية وفق التصورين الفردي والجماعي في الوقت نفسه.

قائمة المراجع:

- Bernard Mandeville. (1714) The Fable of the Bees, or Private Vices, Public` Benefits. Liberty Fund. (1988). Indianapolis.
- Bernard Mandeville. (1998). La Fable des abeilles: Suivi de «essai sur la charité et les écoles de charité» et de «defense du livre» Lucien & Paulette Carrive (trad.). Librairie philosophique J. Vrin, (1998). Paris.
- Evans-Pritchard E. (1937). Wirtchcraft, oracles and magic among the Azandé, Oxford. Clarendon Press; tr. Fr. Sorcellerie, oracles et magie chez les Azandé. (1972). Gallimard. Paris.
- Friedrich Hayek. (1948). Individualism and Economic Order. Henry Regnery. Chicago.
- Friedrich Hayek. (1948). Individualism : True and Fals, in Individualism and Economic Order. University of Chicago Press. Chicago.
- Jones Bryan. (2003). Bounded Rationality and Public Policy: Herbert A. Simon and the Decisional Foundation of Collective Choice. Policy Sciences Vol. 35, No. 3. P.269-284.
- Joseph Agassi. (1960). Methodological individualism. British Journal of Sociology, Vol. 11, No. 3. p.244-270.

-
- Jean-Claude Passeron. (1994). La rationalité et les types de l'action sociale chez max weber. Revue européenne des sciences sociales, T. 32, No. 98. La rationalité reconstruite et les sciences du salmigondis historique.
 - Jiří Šubrt. (2019), "The Two Lines of Theoretical Thinking in Sociology", Individualism, Holism and the Central Dilemma of Sociological Theory. Emerald Publishing Limited. Bingley. p. 19-113. Was seen on 01/01/2022 in: <https://doi.org/10.1108/978-1-78769-037-020191003>
 - Joseph Schumpeter. History of economic analysis. Londres: Oxford University Press. 1954); tr. Fr. Histoire de l'analyse écon Robert Nozick. «On Austrian Methodology ». Synthese, 36, 1977, in Lars Udehn. Methodological individualism: Background, history and meaning. New York: Routledge. 2002, Paris, Gallimard, vol 3, 1983.
 - John Locke. (1690). Two Treatises of Civil Government. Cambridge University Press. Cambridge.
 - Herbert Simon. (1982). Models of bounded rationality: economic analysis and public policy. Cambridge, The MIT Press, 2 vol.
 - Herbert Simon. (1957). The Models of man. Wiley. New York.
 - Karl Mannheim. (1956). Ideologie and Utopie. Bonn, F.Cohen. (1929); Tr. Fr. partielle Idéologie et utopie. (1956). Marcel Rivière. Paris.l
 - Karl Popper. (1967). La rationalité et le statut de principe de rationalité, in (E. M. Glaesen éd 1967), les fondements philosophiques des systèmes économiques. Payot. Paris.
 - Lars Udehn. (2002). Methodological Individualism. Background, history and meaning. Routledge. New York.
 - Lemoune Aimé, Thibaud Paul. (1985) L'individualisme en sociologie : Entretien avec Raymond Boudon. Esprit, N° 108 (11).
 - Max Weber and Jean-Pierre Grossein. (2005). Max Weber à Robert Liefmann. Revue française de sociologie, 4 Vol. 46. p.923-928.

- Michel Freitag. (1994). Pour un dépassement de l'opposition entre "holisme" et "individualisme" en sociologie. Revue européenne des sciences sociales T. 32. No. 99, La théorie sociale aujourd'hui: bilan et perspectives: XIe Colloque annuel du Groupe d'Etude "Pratiques Sociales et Théories". p.169-219.
- Milan Zafirovski. (2005). Is Sociology the Science of the Irrational? Conceptions of Rationality in Sociological Theory. The American Sociologist, Vol. 36, No. 1. p.85-110.
- Nathalie Bulle. (2005). "Introduction générale, l'explication de l'action sociale. Problème méthodologiques et prospectives de recherche", l'année sociologique (1940-1948), Troisième Vol. 55, No.1.p.9-18.
- Norbert Elias, Eric Dunning. (1994). Sport et civilisation. La violence maîtrisée, Traduit de l'anglais par Josette Chicheportiche et Fabienne Duvigneau, Editions Fayard. Paris.
- Norbert Elias. (1981). Qu'est-ce que la sociologie ?. Pocket. Paris.
- Raymond Boudon. (2003). Raison, bonnes raisons. PUF. Paris.
- Raymond Boudon. (2000). Etudes sur les sociologues classiques II. PUF. Paris.
- Raymond Boudon et all. (1992). Traité de sociologie. PUF. Paris
- Raymond Boudon. (1984). La place du désordre, critique des théories du changement social. PUF. Paris.
- Raymond Boudon. (1991). « Individualisme et Holisme dans les sciences sociales » in Pierre Birnbaum et Jean Leca (dir), Sur l'individualisme, théorie et méthodes. Paris. Les presses de la fondation national des sciences politique.
- Thomas Hobbes. (1651) Leviathan. Harmondsworth. Penguin.
- Valade Bernard. (2001). « De l'explication dans les sciences sociales : Holisme et individualisme » in Jean-Michel Berthelot (dir), Epistémologie des sciences sociales. PUF. Paris.
- Von Neumann John, Oskar Morgentern. (1953). Theory of games and economic behaviour. Princeton University Press. Princeton.

- Raymond Boudon. (2003). Raison, bonnes raisons. PUF. Paris.
- Raymond Boudon. (2000). Etudes sur les sociologues classiques II. PUF. Paris.
- Raymond Boudon et all. (1992). Traité de sociologie. PUF. Paris
- Raymond Boudon. (1984). La place du désordre, critique des théories du changement social. PUF. Paris.
- Raymond Boudon. (1991). « Individualisme et Holisme dans les sciences sociales » in Pierre Birnbaum et Jean Leca (dir), Sur l'individualisme, théorie et méthodes. Paris. Les presses de la fondation national des sciences politique.